مجلة الحكمة للدراسات الإجتماعية ISSN :2353 - 0529
المجلد1 ، العدد2، (جوان 2013) EISSN : 2600-643x

المرأة الجزائرية بين المشاكل الاجتماعية والمعتقدات الشعبية

الأستاذة وعلي راضية
أستاذة مساعدة أ بقسم علم الاجتماع/جامعة البليدة

ـ مقدمة:

تحظى المعتقدات الشعبية في أغلب المجتمعات بمكانة كونها ظاهرة اجتماعية عرفتها الشعوب البدائية والمتحضرة، والمتداولة في التراث الشعبي، فكانت تمثل لهم الملجأ الوحيد عندما تواجههم أي مشكلة أو معضلة، كما يعتقد فيها كونها لها تأثير مباشر في تحقيق استقرارهم النفسي والاجتماعي، كما تساهم في تحقيق السعادة لهم وفي علاقاتهم الاجتماعية.

تشهد المعتقدات الشعبية إقبالا كبيرا من طرف مختلف الفئات الاجتماعية دون استثناء والتي أغلبها نساء وهذا بالرغم من التطورات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية وانعكاساتها على المجتمعات العربية ومنها المجتمع الجزائري، حيث تعد المرأة العربية عامة والمرأة الجزائرية خاصة أكثر إقبالا على المعتقدات الشعبية وممارستها إذ تجد الملاذ فيها، وهذا لكونها أكثر تمسكا بالزيارة وممارسة مختلف الطقوس الخاصة في علاج بعض الأمراض المستعصية والتي قد يكون الطب الحديث قد عجز في علاجها ومحاولة التخلص من المشاكل والهموم المفاجئة التي تعترضها في حياتها والتي تؤثر سلبا على سعادتها ومستقبلها، وقد حاولنا من خلال هذه الدراسة البحث عن أهم العوامل التي تؤدي بالمرأة الجزائرية إلى التمسك بالمعتقدات الشعبية؟

أولا:المرأة والمعتقدات الشعبية:

إن الإنسان دائما بحاجة إلى تصورات أساسية للعالم والإنسان والجماعة والسلوك الذي يساعده على التوافق والتكيف مع بيئته والمجتمع الذي ينتمي إليه، حيث تقوم الثقافة بتقديم هذه التصوّرات والتي تأخذ شكلا يعرف بالمعتقدات، والمعتقدات هي ذلك الإرث الذي تناقله الأبناء عن الآباء عن طريق التنشئة الاجتماعية التي تؤدي بدورها إلى تحديد اتجاهاتهم وتساعدهم في بناء حياتهم واتخاذ المواقف المناسبة للحصول على حاجاتهم وبناء علاقات مع البيئة الخارجية لكي يضمن الأمن والحماية والغذاء، وبالتالي الحصول على المكانة اللائقة والمناسبة في المجتمع الذي يعيش فيه وينتمي إليه، فالمعتقدات ما هي إلا ترسبات من المعتقدات البدائية والسحرية القديمة **(1)**

هذه الطقوس والممارسات ثبت وجودها بوجود الإنسان على وجه الأرض، أي منذ آلاف السنين والتي كانت في الأصل عبارة عن موروثات ممجدة من

الماضي، تكونت عن حالة سابقة من التطور العضوي، حيث تشتمل هذه الأخيرة على الممارسات المختلفة للشعوب والتي كانت في أول الأمر عبارة عن ممارسات واعتقادات خرافية ودينية وبمرور الزمن ترسّخت في عقول الناس، فأخذت أشكالا جديدة وأسماء جديدة منها اسم المعتقدات الخرافية أو الخزعبلات أو المعتقدات شعبية أو المعتقدات دينية إلى غير ذلك، وهذا من خلال التراث الكامن عبر الأجيال، والتي كان لها الأثر الكبير والفعال على فكر الشعوب ووسائل تحقيق حاجاتهم الأساسية في كافة مجالات الحياة، مما جعلها تتوارث جيل بعد جيل، مؤكدة رسوخها في العقول وأهميتها وجدواها في الحياة الاجتماعية والثقافية والتاريخية للشعوب وضرورة الالتزام بها وتطبيقها **(2)**.

تعد المرأة الجزائرية أكثر تمسكا بالمعتقدات الشعبية وتطبيقها في أغلب ممارساتها اليومية، وهذا من خلال الاستعانة بها في أغلب المناسبات كونها تجسد فيها ما يلبي حاجاتها النفسية والاجتماعية في خضم المشاكل الاجتماعية والنفسية التي تعاني منها المرأة الجزائرية من الموروث الثقافي التي تحصلت عليه خلال تنشئتها الاجتماعية أي الذي اكتسبته من جدتها و أمها، وبالتالي تلقنه بعد ذلك لابنتها وحتى لأبنائها، إذ نجد في حالات كثيرة أن الأبناء يحافظون على ذالك الموروث الثقافي أو ما يسمى بالثقافة التقليدية أو التراث الشعبي أو المعتقد الشعبي، والذي يشمل على مجموعة من الأفكار والاهتمامات منها طرق الشفاء من الأمراض، الرقى والتعاويذ، كشف المستقبل، السحر، عالم الجن والأشباح، الأعياد والموالد الشعبية، حفلات الزار، زيارة المقامات وأضرحة الأولياء الصالحين، إضافة للأمثال الشعبية، القصص، الأناشيد، والفنون التي تطال الجانبين الروحي والإعتقادي.

تعبّر المعتقدات الشعبية على حاجات اجتماعية واقتصادية أو ثقافية، تكون أغلبها مكتسبة من العادات والتقاليد، وكذلك تكون نابعة من المواقف والتصورات العقلية التي يتخذها الفرد حيال الشيء المقدس، فقد يتبع الأشخاص في تصرفاتهم قاعدة حتى إذا صلحت واتفقت مع ظروف الجماعة وحاجاتها، لجأ باقي الأفراد إلى إتباعها بدورهم مدفوعين في ذلك، بغريزة التقليد والسير على المألوف، لتنتقل بينهم من جيل إلى جيل آخر، حتى يصل الأمر إلى إتباعها، ويتولد في أذهانهم وتفكيرهم وجوب احترامها والعمل على تطبيقها.

القيام بمختلف الطقوس والمعتقدات الموروثة يحقق لديهم الشعور بالرضي على النفس والسرور والتفاؤل بما يضمن لهم الاستقرار النفسي في حياتهم، إذا أصبحت هذه الأخيرة هاجسا يشغل بال الناس، فيشعرهم بالتفاؤل والفرح حينا والخوف والتشاؤم حينا آخر، فرؤية حيوانات خلال سلوكهم الفطري اليومي، وتصرفاتهم الطبيعية، قد تدفع الناس تحت تأثير حالاتهم النفسية والاجتماعية إلى تأويل تلك التصرفات على أنها أحداث ستقع استنادا إلى خلفية فكرية، طبعتها السنوات في الذاكرة وتناقلتها الأفكار، التي لا تزال تتعلق بتلك المعتقدات عبر

التنشئة الاجتماعية، كالاعتقاد في رؤية قط أسود اللون في الصباح الباكر بأنه دليل نحس وشؤم في ذلك اليوم، فيرجع الرائي إلى بيته خوفا من المصائب والأحداث التي قد تقع له في ذلك اليوم والذي يسمى بالتطير وهناك أمثال كثيرة تعبر عن الخوف من الشواذ، فالديك نذير شؤم إذ صاح بعد الظهر وكذلك بالنسبة للدجاجة إذ كأكأت **(3)**، فيتم ذبحها أو رميها لتخلص من الأذى الذي قد تحدثه إلا أن هناك أشياء أخرى يعتقد الناس بأن لها دور كبير في حياتهم وقد تؤثر سلبا أو إيجابا على سلوكهم اليومي.

نجد معتقدات خاصة بمنطقة معينة أو بلدة معينة، تتم فيها ممارسة طقوس وعادات خاصة بها على كل مقيم في تلك المنطقة أو ينتمي إليها التمسك بالعادات والأعراف وهذا ما نجده في كل من منطقة تنس والمناطق المجاورة لها بما يسمى **بالزواج "عرف سيدي معمر"** ويجب على أهل العريسين احترام طقوس الزواج من خروج العروس حافية القدمين من بيت أهلها، والقيام بالممارسات الخاصة بهذا الزواج، وإهمال أي طقس من الطقوس في مخيلتهم يؤدي إلى فشل الزواج أو العقم أو حدوث مشاكل أخرى.

ثانيا: أشكال المعتقدات:

تختلف أشكال المعتقدات الشعبية عند الشعوب والتي تتمثل في أشكال متعددة ومتنوعة منها:

1- الخرافة:

تشمل الخرافة على مجموعة من الأفكار والممارسات التي لا تستند إلى أي تبرير عقلي، والتي لا تخضع إلى أي مفهوم علمي سواء من حيث النظرية أو التطبيق (4)، فهي قصة أبطالها من الكائنات الطبيعية سواء كانت حيوانات أو بشر وتدور حول أحداث يفترض أنها قد وقعت في فترة زمنية معينة، فنجدها متداولة في التراث الشعبي، منها قصة الغولة التي مازالت ترويها لنا أمهاتنا وجداتنا إلى يومنا هذا، وقصة الأشباح وخاصة شبح مصاص الدماء وحكاياته المأثورة، وتتكون العقلية الخرافية عندما يكون للخرافة دور بارزا في تفسير الأحداث وتعليلها ونقل المعلومات وهي التي تحول تحقيق أهداف الفرد والمجتمع بأساليب بعيدة عن العلم والعقل والمنطق.

الخرافات تنتشر أكثر في وسط الجماعات المحرومة أين تجد فيها وسيلة للتخفيف عن آلامها وتبعث الآمال والخلاص من الحرمان في المستقبل **(5)**، فضلا عن ذلك أنها لا تمتلك الوسائل المادية التي تساعدها على حل مشاكلها الاقتصادية والصحية وغيرها بالأسلوب العلمي العصري لذا تلجأ إلى الخرافة والشعوذة، فالمعروف عن تاريخ البشرية أن الخرافات التي ترتدي رداءا دينيا، قادرة على الاستحواذ على عقول الجماهير وتحريكها وتغير المجتمع نتيجة لذلك **(6)**

2- السحر والشعوذة:

الاعتقاد بالجن والعفاريت والتي هي عبارة عن مخلوقات لها القدرات عجيبة على التشكل في صورة إنسان، حيوان أو نبات، بالإضافة إلى قدراتها العجيبة من إثبات الخوارق ومعرفة الغيب والاعتقاد في الخطر الذي تلحقه بالإنسان والمتمثل في المس، فكان خوف الناس من غضبها وأذاها، لذا كانوا يعمدون إلى استرضائها عن طريق تقديم القرابين المختلفة والقيام بالطقوس والممارسات المختلفة منها ذبح الديك لونه أحمر ورميه في مكان محدد، دون أكله، وهذا لتقديمه قربانا للجن ليسلم الإنسان من أذاه، إلى غير ذلك من المعقدات التي يلها الأثر الفعال والتأثير الكبير على حالتهم النفسي من ملامح التفاؤل أو الحزن **(7)**.

هذا ما يدفع بهم إلى ممارسات الطقوس الوقائية لذلك، حيث تقوم الممارسات السحرية على أداء بعض العمليات مستعينة ببعض العناصر أو المقومات الأساسية كالأفعال (الحركات) والكلمات (المنطوقة أو المكتوبة أو كلاهما) أو الاستعانة بالأشكال السحرية والتي هي عبارة عن ممارسات لإظهار قوى خرافية، ليست عن طريق الصلاة أو الدعاء، ولكن بالاعتقاد بأن تلك الممارسات هي سبب حدوث الظاهرة، فبعض الظواهر التي تحدث وهذا بفعل عوامل الطبيعة وليست سحرية، قد يغرس الساحر بعض الأسماك في التربة، التي ترمز للخصوبة، وعلميا فالأسماك تؤدي إلى خصوبة التربة، وفي كثير من الثقافات البدائية يصعب الفصل بين الممارسات الدينية والممارسات السحرية **(8)**.

ممارسة السحر والشعوذة والاعتقاد بهما، خاصة لدى الشرائح الدنيا من المجتمع في الماضي وانتقاله إلى مختلف الشرائح الاجتماعية في العصر الحديث، فالسحر قديم قدم الحضارات الإنسانية في تفسير بعض الظواهر وتحقيق الرغبات وحل المشاكل التي يواجهها الإنسان في معظم بقاع العالم، كما أخذت ممارسات السحر والشعوذة باللون الفكري الذي ساد المنطقة واتجهت لتعبر عن تطلعات الجماهير من ناحية، كالبحث عن الثروة والتغلب عن المشاكل اليومية الصغيرة، كالحب والكراهية، فالسحر أداة الرجال الطموحين يتوسلون بها لتأكيد ذاتهم وتحقيق مشروعيتهم **(9)**.

الممارسات السحرية ليست مقتصرة على فئة الرجال فقط، وإنما نجدها عند كل فئات المجتمع، حيث كان العامل المسيطر على حياة الإنسان الأول تماما، ويتمثل في النظر إلى الطبيعة على أنها تخضع لنظام ثابت لا يتغير، ويمكن للساحر من خلال فهمه لذلك النظام، إخضاعه لإرادته، وهذه الممارسات السحرية ما هي إلا حوصلة لتجارب خاصة، فإذا كانت نافعة يتم تعميمها على الكل، أما إذا كانت ضارة أو تؤدي إلى الموت أو الأمراض فيكون التخلي والتحذير منها **(10)**، وتتجلى مظاهر السّحر في:

ـ اللعن: وهذا باستدعاء القوى المنظورة بقصد إيذاء الملعون.

ـ التبرك: وذلك باتخاذ مراسيم أو النطق بعبارات يقصد بها لجلب الخير أو المنفعة العامة أو الخاصة و**العين:** ويكمن في الاعتقاد بأن نوع معين من العيون، قد تكون

من عالم الإنس أو من عالم الجن، قد يكون لها تأثير طيب والآخر لها تأثير رديء والاعتقاد في قدرات خاصة للأسماء أو الكلمات، كأسماء الله والأشياء، وأسماء أخرى، الاعتقاد في استقراء الغيب، كالكشف عن المستقبل بقراءة الورق الكوتشينية، أو استنطاق الودع، الجانب الاحترافي في الممارسات السحرية كالتعزيم، وأخذ الأثر وعمل الأعمال والخواص السحرية للمعادن والأشكال المختلفة **(11)**.

3 - الاعتقاد في الأولياء وكراماتهم:

ظهرت فكرة الاعتقاد في الأولياء والتبرك بهم، بناء على انبهار المجتمع بكرامتهم وقدراتهم الخارقة في كشف أسرار الناس و إطلاعهم على أمورهم المستقبلية و تحقيق رغباتهم و تفريج الكروب عن اليائسين وجلب الشفاء للمرضى وتخليصهم من الحكام والظلمة و قطاع الطرق **(12)**.

الأولياء في اعتقاد العامة من الناس، بأنهم رجال مقربون إلى الله، لهم إمكانيات الاتصال بهم أكثر من غيرهم، ولهم مقدرة عجيبة على الأفعال الخارقة والمعجزات، ويظل الضريح رمزا على هذه القدرة، وهم في الأصل خيرون يفعلون الخير للناس أي ما فيه صلاح الناس، غير أنهم قادرون على إيذاء من أغضبهم، قادرون على إضعاف القوى، لأنهم في اعتقاد البعض روادا مصلحين أو مصلحين عملوا على إصلاح الأوضاع الاجتماعية والدينية بطرق ووسائل شتى لإصلاح ما كان فاسدا في المجتمعات الإسلامية وبعثها من جديد على أسس قوية **(13)**.

الاعتقاد بالأولياء وكراماتهم (بركاتهم) له مجال خصب في عالم المعتقدات الشعبية من هيمنة فكرة الأولياء الله الصالحين وقدرتهم على التصرف أحياءً أو أمواتا **(14)**.

إلى جانب ذلك اعتقاد الكثير من عامة الناس والمسلمين أن هناك أقطابا وأبدالا من الأولياء والصالحين، لهم قدرات للتصرف في حياة الناس في تسيير وتنظيم حياتهم، فهم يولون ويعزلون ويعطون ويمنعون ويضرون وينفعون كما شاع بين عامة الناس، إن لهؤلاء الأقطاب والأبدال ديوانا يطلق عليه ديوان الصالحين، حيث منه تصدر القرارات والمراسيم بربح شخص ما أو خسرانه أو خيبته وخسارته، ومن هنا تعلقت قلوب الكثير من الناس بالصالحين وهتفت بهم الألسنة والاستغاثة بهم، ودعوا عند الشدائد للخلاص من المحن والشدائد، والاعتقاد بأن لأرواح الأولياء والصالحين تصرفا بعد موتهم، وشاع هذا الاعتقاد الكاذب الباطل ورسخ في نفوس العامة من الناس، حيث أصبحت الأضرحة والمشاهد والقبور ملاذا لكل خائف ومستشفى لكل مريض أصابه كرب أو نزل به سقيم أو حلت به نكبة راجيا تفريج الكرب وقضاء حاجاته **(15)**.

كل جزء أو ركن من الأركان الموجودة إلا ويجعل منها موضع الشفاء، فيتبرك بالأحجار الموجودة في الضريح، وببعض القبور، كزوجة الولي الصالح أو ابنته والتبرك بالعيون، وبعض الجبال، وبالأماكن والزوايا الموجودة في المقام. ورسوخ

هذا الاعتقاد نتيجة تقديس المتصوفة والطرقيين وطاعتهم وهذا من خلال الأعمال التي قاموا بها في حياتهم، من إغاثة المظلوم وحمايته، توفير الأمن في المجتمع إلى جنب إعالة الفقير، وتدبير شؤون المسلمين وتنظيم حياتهم والسهر على راحتهم وحل مشاكلهم **(16)**.

ثالثا: المرأة الجزائرية بين التنشئة الاجتماعية و المعتقدات الشعبية:

إن تمسك المرأة الجزائرية بالمعتقدات الشعبية والتي تم ترسخها لديهم خلال التنشئة الاجتماعية وهذا بعد أن ثبتت صلاحيته عند الأسلاف، لذا وجب التمسك بها وتقديسها عبر مرور الزمن والتي اتخذت في نفسيتها طابعا إلزاميا، فأصبحت الموجهة لسلوكها ومتحكمة في حياتها متخذة من ذلك تبريرا دينيا يختلط فيها الوهم بالحقيقة نتيجة للمشاكل والظروف لاجتماعية التي عانتها المرأة الجزائرية في الماضي وتعانيها اليوم نظرا لتعقد الحياة، والتي تمارس ضغطا عليها لكونها تتميز بخصائص القهر والتلقائية والعمومية على وجه الخصوص، وهذا ما يدفع بها إلى اللجوء إلى اعتناق المعتقدات الشعبية واعتمادها عليها لحل المشكلات النفسية والاجتماعية والجسدية والاقتصادية منها، والأخذ بهذه الأفكار كما تسلم بعضهن باعتبار يجب الأخذ بها والالتجاء إليها وقت الشدة والحاجة، إننا نعتز بالآراء التي نكونها بأنفسنا هذا المعتقدات والعادات السالفة الذكر كالاعتزاز بهذه الظواهر نفسها، ولذا تكتسب الآراء نوعا من النفوذ لا يقبل أي معارضة من جانب الفرد **(17)**.

من هنا تجد تأثيرها في سلوكيات الأفراد التي تعاني منها في قول إحداهن " سبب يا عبدي أنا نعينك" وقول " لي زار نال ولي اقعد بار" فهذه جملة من الأمثال المتداولة والمتوارثة من الأجيال قصد التحفيز على زيارة الأولياء الصالحين والسحرة والمشعوذين، وبالتالي تجد هذه المقولات طريقها إلى تأثير على سلوكيات الناس خاصة عند المرأة، لكونها أكثر انشغالا بالأمور ذات صبغة الخاصة أو العائلية وأكثر انسياقا للأمور العاطفية وأكثر إحساسا بنتائج التغير الجسدي الذي يصل سريعا إلى مرحلة النضج، فتكون أكثر انشغالا بهندامها وزينتها وأكثر تفكيرا في الزواج المرتقب أوالخطيب وأكثر استعدادا لبدء الحياة التي تحلم فيها سعيدة لا وجود لأي مشكلة في حياتها.

الأسرة أو العائلة الجزائرية تسعى إلى تلقين الفتاة مختلف السلوكيات والقيم، التي مصدرها الأول ثقافة المجتمع الذي تنشأ فيه وتعيش فيه وذالك من خلال الممارسة والمشاركة والتقليد في مدرسة الحياة ذاتها، والتي تشمل جميع ما ورثته من أسلافها بما في ذلك أساليب العمل لكسب العيش، والعادات والتقاليد وأنماط السلوك بما يشبع حاجاتها ويمدها بأساليب جاهزة لمواجهة المواقف والمشكلات، وبالتالي تتمسك بكل ما يساعدها في تحقيق التكيف مع مجتمعها وظروف بيئته **(18)**.

تعتبر العادات والتقاليد والمعايير والقيم الموروثة من أدوات الضبط الاجتماعي، ففي كثير من الأحيان نجد أن الأعراف والعادات والتقاليد تأخذ المكان

الأول عند الشعوب قبل القانون، وهذا أن القانون يسعى إلى تنظيم أحوال الناس والذي هو بدوره يتشكل من مجموعة من الأعراف والدساتير والمواد الخاصة بمجتمع معين دون غيره من المجتمعات، كما نجد أن المرأة الجزائرية أكثر تمسكا بالعادات والتقاليد حيث تقوم بتلقينها للأبناء والأحفاد والمحافظة عليها من الاندثار والزوال، فتخلي على أحد الأعراف و المعتقدات يسببه لها الكآبة والحزن والخوف من عدم تطبيق ذلك المعتقد أو العرف وما يأتيه بعد ذلك من كوارث، ترجعه لعدم تطبيقها للعادات والتقاليد، وهذا ما يفسر تمسك الأنثى أكثر بالمعتقدات ومن بينها زيارة المرأة لأضرحة الأولياء الصالحين والتبرك بهم، كما أن المرة الجزائرية تسعى جاهدة للمحافظة على عائلتها وأولادها، كما تسعى جاهدة لضمان مستقبلها، وهذا بحصولها على زوج صالح يصون شرفها وكرامتها، كما يؤمن لها متطلباتها و تسعى جاهدة لتحقيق أمالها وأحلامها وهذا ما يؤدي بها إلى التمسك بالمعتقدات الشعبية.

للمرأة الجزائرية دور هام في المحافظة على القيم والمعايير المكتسبة خلال تنشئتها الاجتماعية وإعادة إنتاجها وتنشئتها للأجيال القادمة **(19)**، كما تتمثل في الأبناء والأحفاد وهذا كون المرأة دور تربت عليه فتحافظ عليه بالابتعاد عن معتقداتها وقيمها يبعث فيها شعورا باليأس والحزن، والتمسك بها يبث عندها للقوة والأمل والتفاؤل وهذا يكمن في ممارسة مختلف الطقوس ومن بينها طقوس زيارة أضرحة الأولياء الصالحين والسحرة والمشعوذين، كونها تعبيرا رمزيا وعلنيا عن التمسك بالتقاليد، وبالتالي باعثا للطمأنينة والأمل والتفاؤل وهذا خاصة عند المرأة، باعتبارها تعاني من مشاكل جمة في المجتمع **(20)**.

لهذا يكون ارتباطها عفويا بالطقوس وممارستها كونها مخلوقا، وجد دائما لإرضاء الآخرين وتحقيق حاجاتهم ورغباتهم، من الزوج والأولاد، كونها دائما الراعية لشؤونهم والمحققة لطلباتهم والخائفة على مصالحهم، كونها دائما المرأة المطيعة المعطاة الخاضعة، الراضية المتفانية في إعادة إنتاج طاقاتها النفسية والجسدية لمساعدة عائلتها وزوجها المحافظة عليها وتحقيق ذاتها وتأكيدها، مما يشكل عندها ضغطا نفسيا حادا، ولهذا تلجأ إلى زيارة أضرحة الأولياء الصالحين والسحرة والمشعوذين، كونها تجد فيه ملجأ نفسيا للتعبير والتخلص من الشحنات الفاسدة وتجديد الطاقة والحيوية لشعورها بالعجز في تحقيق هدف معين، وهذا ما يدفع بالمرأة الجزائرية إلى محاولة خلق دوافع بديلة كالزواج لتحقيق الأمن والمكانة الاجتماعية وتحقيق الذات، لزيادة الثقة والرغبة في الأمن وهذا ما يفسر وجود هذه الظاهرة إلى يومنا هذا رغم ظهور بدائل أخرى لها **(21)**.

كما أن التنشئة الاجتماعية لها دور كبير في ترسيخ القيم والمعتقدات والمعايير الخاصة بالمجتمع حيث تعمل هذه الأخيرة على إضفاء نوع من القدسية عليها وهذا بتثبيتها وترسيخها والعمل على استقرارها واستمرارها بالتوارث، والتي أصبحت بعد ذلك مسيطرة على أفكار ومعتقدات العامة، وبالتالي تكوين لديهم الاعتقاد فيها

بأنها سلوك يجب التمسك به وتطبيقه باعتباره شيئا مقدسا، بل الكثير ما يذهبون إلى أبعد من هذا حيث يفصحون عن أن مخالفة العادات تجلب لهم الشؤم والنحس والضرر على المخالف.

رابعا: المشاكل الاجتماعية و الضغوط النفسية:

إن ظاهرة اللجوء إلى المعتقدات الشعبية والتمسك بها والاعتماد عليها لحل المشكلات النفسية والاجتماعية والجسدية، التي قد تتعرض لها المرأة الجزائرية نتيجة المشاكل الاجتماعية وما تخلفه من أثار نفسية منها.

تتشكل الضغوط النفسية نتيجة الظروف الاجتماعية والحضارية والتي تكون مصدر ضيق لمعظم الناس اللذين يعيشون في إطار جماعة معينة، ويمكن أن ينتج الضغط نتيجة ظروف أمنية معينة أو معركة أو انتظار جراحة أو إجراء امتحان أو مقابلة هامة أو مصيرية أو تنافس شديد أو أزمة من أزمات الحياة كوفاة شخص عزيز أو فقدانه، أو حدوث كارثة طبيعية أو الإصابة بمرض مزمن أو حدوث إعاقة أو إحباط أو فشل، فأصبحت الضغوط بمختلف أنواعها تهدد الاستقرار النفسي والاجتماعي للإنسان المعاصر، وهذا بتعقد الحياة الاجتماعية، فالإنسان خلال حياته يتعرض لعدة مواقف منها الإحباط والاكتئاب عند الفشل في تحقيق رغباته وإشباع حاجاته إلى جانب الأمراض المزمنة والإعاقات المختلفة والآلام والأحزان نتيجة فقدان حبيب أو عزيز، فكل هذه العوامل تتطلب من الإنسان بذل جهد عقلي ونفسي وجسمي كبير لمحاولة التغلب على مشاكله وتحقيق أحلامه يقع تحت وطأة الضغوط النفسية

تؤثر الحياة ومشاكلها ومشاغلها وما تحمله من أحزان وألام وأفراح وبعض المواقف غير الاعتيادية أو المبهرة، والتي تؤثر سلبا على المرأة الجزائرية منها شبح العنوسة والحصول على زوج وبناء أسرة سعيدة والذي يهدد كل فتاة تجاوز عمرها الثلاثين، وعدم حملها أو تأخره أو العقم وحتى الأمراض المزمنة والتي عجز الطب في علاجها، بشكل عاجل أو كامل وبعد زيارتها لمختلف الحمامات المعدنية وزيارتها لأشهر الأطباء دون جدوى، **و** التي تثقل كاهل المريضة تشعرها بالضعف وفقدان سعادة الحياة، وبالتالي الذي تحطم معنويات الأسرة وركيزتها ومستقبلها كون أن المرأة الجزائرية مقرونة بالإنجاب وعدم المرض، فخلاف ذلك يعرض حياتها الزوجية إلى التفكك، كما تؤدي الخلافات الزوجية والأسرية وحتى الخلافات في العمل أو مع الجيران إلى تهدم العلاقات الاجتماعية والزوجية .

تتعدد المشاكل الاجتماعية التي يعاني منها الأفراد في المجتمع وحيث تعكر صفو حياتهم نظرا لما تسببه من أثار سلبية على نمط علاقاتهم وتفاعلهم مما تستدعي منهم التخلص منها وإزالتها مهما كانت الوسيلة،و مما يزيد من تضخم المشكلات وتعقدها هو فشل الأفراد في التكيف السريع مع التغيرات التي تحدث في المجتمع والناجمة عن عمليات والتحضر والتنمية التصنيع والتي ينتج عنها الفقر، البطالة وأزمة السكن.حيث يدفع بها إلى التفكير في الانتحار أوالاستعانة بالمعتقدات

الشعبية وبالأشياء التي استعان بها غيرها، من الأجداد أو الآباء أو في تجاوز محنهم وأزماتهم منها اللجوء إلى السحرة والمشعوذين والتبرك بمقامات الأولياء الصالحين وزيارتهم والاعتماد عليهم في حل مشاكلهم ومساعدتهم في التخلص من الضغوط النفسية التي تتعرض لها.

هذه العوائق والصعوبات تستلزم منه مطالب تكيفيه، قد تكون فوق احتماله وتنحصر مصادر الضغط في الإحباط والصراع والضغوط الاجتماعية، (هي مجموعة المواقف المهنية والاجتماعية والشخصية التي ينجم عن عدم إشباعها توتر يؤدي بالفرد إلى الفشل)، كما تتشكل الضغوط النفسية نتيجة عدة عوامل، منها الشعور بالإحباط وخيبة الأمل والقلق والغضب والاستنزاف الانفعالي والجسماني ومجمل المشاكل التي قد تصادفها المرأة الجزائرية خلال حياتها اليومية **(22)**.

ـ خاتمة:

من خلال الدراسة التي قمنا بها والتي كانت محاولة منا لدراسة ظاهرة تمسك المرأة الجزائرية بالمعتقدات الشعبية وممارساتها توصلنا إلى النتائج التالية:

المعتقدات الشعبية تعد بمثابة ملجأ نفسي للمرآة الجزائرية،إذ يمثل بالنسبة لها المكان الوحيد الذي تقصده للهروب من المشاكل اليومية التي تعاني منها، ومحاولة منها إيجاد الحلول للمشاكل التي تتخبط فيها والتي تبحث فيها عن حلول لها خاصة الأزمات الفورية المفاجئة، والتي تستدعي وتستوجب حلولا فورية لها، والتي تختلف وتتنوع حسب الحاجات الاجتماعية للمرآة وعمرها، حيث أن لكل فئة طلباتها الخاصة، فالفتاة لها طلبات مثل الظفر بزوج صالح أو طلب الذرية الصالحة، الحصول على سكن خاص أو عمل لضمان استقلاليتها وحريتها الشخصية إلى غير ذلك من الطلبات، بينما نجد كبار السن طلبات مقتصرة في طلب حفظ الصحة وحفظ الذرية (الأولاد) وطلب صيانتها وحمايتها من كل سوء في هذه الحياة.

ممارسة للمرأة الجزائرية لهذه المعتقدات الشعبية أصبح يمثل لها بمثابة العادات والتقاليد المتوارثة عبر الأجيال والتي لابد على الجميع احترامها والمحافظة عليها، وهذا بتطبيقها وطلب توسطه وتدخله في الحالات الحزينة، وفي بعض الحالات المفرحة باعتباره الجد الخائف على مصير أبنائه والمحافظة على أسرارهم الخاصة، ومحاولة بعث لديهم الأمل في الحياة، وبالتالي رسوخه في المعتقد الشعبي.

تؤدي التنشئة الاجتماعية دورا كبيرا في محافظة المرأة على زيارة أضرحة الأولياء الصالحين، إذ تعتبرها جزءا من معتقداتها وضرورة ملحة لبعث الأمل وتجديده والتي ترى نفعها في انتفاع أمها وجدتها بها، وبالتالي اكتسبته منهما، فتطبقها وتمارسها كلما اقتضت الحاجة إلى فعل ذلك، مما شكل لديها نوعا من العرف الاجتماعي بمرور الزمن، والذي أصبحت تتمسك

به و تحاول الاستعانة به للتخلص من العوائق ولمواجهة الصعوبات التي تعترضها، كلما دعت الضرورة لذلك، ولا تستطيع الاستغناء عنها، لأنه يمثل بالنسبة إليها أحد ضروريات الحياة السعيدة، للحد من التوتر والقلق الذي تعاني منه.

أغلب المترددات على زيارة أضرحة الأولياء هن نساء، وهذا نتيجة العزلة الكبيرة التي تعاني منها المرأة في المجتمع الجزائري، والتي أدت بها إلى زيارة أضرحة الأولياء الصالحين والسحرة والمشعوذين لحل مشاكلها، إذ تلجأ إلى الخرافة والغيبيات في رحلة بحث عن التوازن النفسي والاطمئنان على مستقبل الحياة .

الهوامش والإحالات:

1- السمالوطي (نبيل محمد توفيق)، **الدين و البناء الاجتماعي** ، دار الشروق ، جدة ، ط**1** ، ج**1**، **1981**، ص **95**

2- الجوهري محمد، **الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، من دليل العمل الميداني الجامعي للتراث الشعبي**، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، مصر، ج**03**، **1993**، ص **330**

3- إميل دوركايم، **قواعد المنهج في علم الاجتماع** ، تقديم عبد الرحمان بوزيدة ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الرغاية، الجزائر، **1990**، ص **89**

4- دياب فوزية ،**القيم و العادات الاجتماعية** ، دار النهضة ، بيروت ، **1980**. ص ص **26-27**

5- شادية علي قناوي، **المرأة العربية و فرص الإبداع** ، دار قباء والطباعة، القاهرة، **2000** ، ص **22**

6- علياء شكري، **من ملامح التغير الاجتماعي و الثقافي**، دار الكتب للتوزيع، القاهرة، ط**1**، **1979**، ص **196**.

7- إبراهيم بدران، سلوى خماش، **دراسات في العقليات العربية 1- الخرافة** ، دار الحقيقة ، بيروت، ط**2**، **1979**، ص ص **233-235**.

8- الكزاندر هجرتي كراب، **علم الفلكلور**، ترجمة رشدي صالح، دار الكتاب للطباعة والنشر، القاهرة، **1968**، **ص71.**

9- بونابي الطاهر، **التصوف في الجزائر خلال القرنين (6و7) الهجريين (12و13م)**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، **2004**، ص **172**.

10- طوالبي نور الدين، **الدين والطقوس والتغيرات**، تر وجيه البعيني، منشورات عويدات، بيروت، **1988**، ص ص **251- 266**.

11 - العيسوي عبد الرحمان، **سيكولوجية الخرافة والتفكير العلمي**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، **1984**، ص **19**.

12- بن حمادي صالح، **دراسات في الأساطير والمعتقدات الغيبية**، دار أبو سلامة، تونس، 1983، ص **86**.

13- عياش بن سمير معزي العنزي، **علاقة الضغوط النفسية ببعض المتغيرات الشخصية لدى العاملين في المرور بمدينة الرياض**، رسالة للحصول على ماجستير في العلوم الاجتماعية، **2004** ، ص ص **14 -17**.

14- سيرغي أ توكاريف، **الأديان في تاريخ شعوب العالم**، ترجمة أحمد فاضل، الأهالي للطباعة والنشر، ط**1**، **1998**، ص **05**.

15- عبد المالك مرتاض، **عناصر التراث الشعبي في اللاز"**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، **1998**، ص **22**.
16- محمد شفيق، **العلوم السلوكية**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، **1999**، ص**23**.
17- فوزي طه إبراهيم، **المناهج المعاصرة**، دار المعارف الإسكندرية، مصر، **1990**، ص **203**.
18- غزالي محمد، **عقيدة المؤمن**، دار المعرفة، الجزائر، **1990**، ص ص **81- 82**.
19- عبد الرحمن العيسوي، مرجع سابق، ص **32.**
20 - محمد الجوهري، مرجع سابق، ص **55**